

وَلَنَنبَأَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٣٨﴾

**اتخذوا**، يحتمل المتخذين، وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى، عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في **«اتخذوا»** على الأول راجع إلى الذين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر نكرهم لكونه مفهوماً والراجع إلى الذين محذوف، والمعنى: والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء.

فإن قُلْتُ: فالخبر ما هو؟ قُلْتُ: هو على الأول إما **«إن الله يحكم بينهم»**، أو ما أضمر من القول قبل قوله: **«ما نعبدهم»** وعلى الثاني أن الله يحكم بينهم.

فإن قُلْتُ: فإذا كان الله يحكم بينهم الخير فما موضع القول المضمرة؟ قُلْتُ: يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك، ويجوز أن يكون بدلاً من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود بإظهار القول قالوا: ما نعبدهم، وفي قراءة أبي ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم، وقرئ **«نعبدهم»** بضم النون اتباعاً للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر والتنوين في عذاب أركض والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من نون الله يعنيتهم بها حيث يجعلهم وإياها حسب جهنم، واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعاونونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى وقيل: كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقرؤا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في **«بينهم»** عائذ إليهم وإلى المسلمين، والمعنى: أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين، والمراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلاً عليهم بأن لا لطف لهم، وأنهم في علم الله من الهالكين، وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من نون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجاً عليهم بقوله:

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِنَّا بَخْلًا مَا يَسْكَاةُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الرَّاحِدُ الْفَهَّارُ ﴿٤﴾

**«لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق مما يشاء»**، يعني: لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالاً ولم يأت إلا أن يصطفى من خلقه بعضه ويختصمهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغرکم اختصاصه إياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلاً منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام

**«ولتعلمن نباه»** أي: ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وقشوه من صحة خبره، وأنه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الزمر مكية

تَرْتَلُ الْأَكْتَابِ مِنَ اللَّهِ الرَّحِيمِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

**«تنزيل الكتاب»** قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله، أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة، وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزمر.

فإن قُلْتُ: ما المراد بالكتاب قُلْتُ: الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن، وعلى الثاني أنه السورة.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾

**«مخلصاً له الدين»** محضاً له الدين من الشرك والرياء، بالتوحيد وتصفية السر، وقرئ الدين بالرفع وحق من رنعه أن يقرأ مخلصاً بفتح اللام كقوله تعالى: **«ولخلصوا دينهم لله»** حتى يطابق قوله:

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَاللَّذِينَ أَحْنَدُوا مِن دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نُنَادِيهِمْ إِلَّا يُفْرِقُونَ إِلَى اللَّهِ ذُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

**«ألا لله الدين الخالص»** والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصاً حالاً من العابد وله الدين مبتدأ وخبراً، فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استرجار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص هادة إن لا إله إلا الله وعن الحسن الإسلام **«والذين»**

(١) ذكره الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي في التفسير: الزيلعي/3



يبعث على عكس ما أمر به هو نظيره في المعنى قوله:  
﴿متاع قليل ثم ماواههم جهنم﴾.

أَمَّنْ هُوَ قَتِيلٌ مَّاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً  
رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْكُورُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ  
أَلَّا يَكْفُرُوا ۝٤١.

قريء ﴿أمن هو قانت﴾ بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من، وبالتشديد على إدخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى نكر الكافر قبله وقوله: بعده: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ وقيل: معناه: أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو هذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: أفضل الصلاة طول القنوت<sup>(5)</sup>. وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائماً ﴿ساجداً﴾ حال، وقريء ساجد وقائم على أنه خير بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين، وقريء ويحذر عذاب الآخرة، وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون، ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يراد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون، وقيل: نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتماذى في المعاصي ويرجو<sup>(6)</sup> فقال: هذا تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية، قريء إنما ينكر بالإدغام.

تمحل بعض الغواة ليثبت الله تعالى ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال: هذا من العام<sup>(1)</sup> الذي أريد به الخاص وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله تعالى: ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾<sup>(2)</sup> تعالى الله عما يقول الظالمون، وقريء يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها ﴿خوله﴾ أعطاه قال أبو النجم:  
أعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم النرى من خول المخول  
وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال، وخال مال إذا كان متعهداً له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله ﷺ: أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة<sup>(3)</sup> والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب: إن الغني طويل الذيل مياس.

﴿إِذَا مَنَّ الْإِنْسَانُ مَنَّ دَعَا رَبِّهُ مَبِينًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوْلَهُ يُمَنَّ مَنَّهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أُمَّةٍ غَابِرَةٍ ۝٤٢﴾.

﴿ما كان يدعو إليه﴾ أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه وقيل: نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه وما بمعنى من كقوله تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾<sup>(4)</sup>، وقريء ليضل بفتح الباء وضمها بمعنى: أن نتيجة جعله الله أنداداً ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله والنتيجة قد تكون غرضاً في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله ﴿تمتع بكفرك﴾ من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له: إن ند أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة، فمن حقه ألا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان لأن أشد من أن

= الثواب والكرامة فيكون معنى الآية، والله أعلم: وإن تشكروا يجازكم على شكركم جزاء المرضي عنه. ولا شك أن المجازاة مستقبلة بالنسبة إلى الشكر فجرى الشرط والجزاء على مقتضاهما لغة وانتظم ذلك بمقتضى الأدلة العقلية على بطلان تقدم المراد على الإرادة عقلاً ومثل هذا يقدر في قوله: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾، أي: لا يجازي غير الكافر مجازاة المغضوب عليه من الكال والعقوبة.

- (2) سورة الإنسان، الآية: 6.
- (3) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخول لهم بالموعظة والعلم..... (الحديث: 68)، ومسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: الاقتصاد بالموعظة الحديث: (82 / 2821).
- (4) سورة الليل، الآية: 3.
- (5) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 8/3).
- وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (306/1).
- وذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: 19657).
- (6) قال أحمد: كلام الحسن رضي الله عنه صحيح غير منزل على كلام الزمخشري بقرينة حاله فإن الحسن أراد أن المتماذى على المعصية مصرراً عليها غير تائب إذا غلب رجاءه خوفه كان متمنياً؛ لأن اللائق بهذا أن يغلب خوفه رجاءه ولم يرد الحسن إقناط هذا

- (1) قال أحمد: إن المصر على هذا المعتقد على قلبه رين، أو في ميران عقله غين اليس يدعي أو يدعى له أنه الخريت في مغائر العبارات، وبديع الزمان في صناعة البديع فكيف نبا عن جادة الإحادة فهماً وأعار منادى الحذاقة أننا صماً اللهم إلا أن يكون الهوى إذا تمكن أرى الباطل حقاً وغطى سنى مكشوف العبارة فسحقاً سحقاً؟ اليس مقتضى العربية فضلاً عن القوانين العقلية أن لمشروط مرتب على الشرط لا يتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلاً ولا مضيئه واستقبال الشرط لغة وعقلاً واستقر باتفاق الفريقين أهل السنة وشيعة البديعة أن إرادة الله تعالى لشكر عباده مثلاً مقممة على وجود الشكر منهم، فحينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الإرادة، وقد جعل في الآية مشروطاً وجزءاً وجعل وقوع الشكر شرطاً ومجزئاً واللازم من ذلك عقلاً تقدم المراد، وهو الشكر على الإرادة وهي: الرضا، ولغة تقدم المشروط على الشرط والزمخشري أخص من قال إن المشروط متى كان ماضياً محضاً لزمته الفاء وقد، كقولك: إن تكرمني فقد أكرمتك قيل. وقد عريت الآية عن الحرفين المذكورين على أنه لا بد من تأويل يصح الشرطية مع ذلك فإذا ثبت بطلان حمل الرضا على الإرادة عقلاً ونقلنا تعين التماس المحمل الصحيح له، وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازي به المرضي عنه من =

قُلْ يَمَيَّاؤُا الَّذِينَ ءَامَنُوْا اَنفُوْا رِجَالَكُمْ لِلَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَّارِضُوْا بِاللّٰهِ رِضْعَةً اِنَّمَا يُوَفِّي الصّٰلِحِيْنَ اَجْرَهُمْ بِمَرِّ حِسَابٍ ﴿١٤﴾.

﴿في هذه الدنيا﴾ متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه: الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنتها بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية.

فإن قُلْتُ: إذا علق الظرف بأحسنوا فأعراه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة، ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه؟ قُلْتُ: هو صفة لها إذا تأخر فإذا تقدم كان بياناً لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفاً ومعنى ﴿وارض الله واسعة﴾ أن لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصراف الهمم إليه قيل لهم: فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة، فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أحر واقتنوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدلبوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل: هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى: ﴿الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وقيل: هي أرض الجنة و﴿الصابرون﴾ الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائهم، وعلى غيرها من تجرّع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير ﴿بغير حساب﴾ لا يحاسبون عليه وقيل: بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرقاً، وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لا يهتدي إليه حساب الحُساب ولا يُعرف وعن النبي ﷺ: «ينصب الله الموازين يوم القيامة، فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء، فلا ينصب لهم ميزان ولا ينتشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صباً»<sup>(1)</sup> قال الله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾<sup>(2)</sup> حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

قُلْ اِنَّ اِمْرًا اَنْ اَعْبُدَ اللّٰهَ مُخْلِصًا لّٰهُ الدِّيْنَ ﴿١٥﴾.

﴿قل إنني أمرت﴾ بإخلاص الدين. وَأَمْرٌ لِأَنَّ أَكْرَأَ أَوْلَ السَّلَاطِيْنَ ﴿١٦﴾.

﴿وأمرت﴾ بذلك لأجل ﴿أن أكون أول المسلمين﴾ أي: مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقاً.

فإن قُلْتُ: كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد؟ قُلْتُ: ليسا بواحد لاختلاف جهتهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحز القائم به قصب السبق في الدين شيء، وإذا اختلف وجهها الشيء وصفناه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثله في أردت لأن أفعل، ولا تزد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كانها زيت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في استطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين، وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زمانى، ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً، وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعاً ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرهم بما لا يفعلون، وأن أفعال ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بليل العقل والوحي.

قُلْ اِنَّيْ اَحَافٌ اِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ ﴿١٧﴾.

فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين أبائه. قُلْ اللّٰهُ اَشَدُّ حُجْمًا لِّمَنْ يَّرِيْ ﴿١٨﴾.

فإن قُلْتُ: ما معنى التكرير في قوله: ﴿قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾<sup>(3)</sup> وقوله: ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ قُلْتُ: ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة

= كونه للحصر، والله أعلم. وما أحسن ما بين وجوه المبالغة في وصف الله تعالى لفظاً خسرانهم. فقال: استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين، وبين في تسمية الشيطان طاغوتاً وجوهاً ثلاثة من المبالغة أحدها تسميته بالمصدر، كأنه نفس الطغيان الثاني: بناؤه على فعلوت وهي صيغة مبالغة كالرحموت وهي الرحمة الواسعة والملكوت، وشبهه الثالث تقديم لامة على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية.

(3) سورة الزمر، الآية: 11.

= من رحمة الله تعالى وحاشاه. وأما قرينة حال الزمخشري: فإنها تتم على ما أضمره من إيراد هذه المقالة فإن معتقده أن مثل هذا العاصي وإن كان موحداً يجب خلوه في نار جهنم. ولا معنى لرجائه ولتنميته صحة هذا المعتقد أورد مقالة الحسن كالترجم إلى تنعيم هذه النزعة وعمما قليل يقرع سمعه ما في أنباء هذه السورة.

(1) نكرة الطبراني في معجمه.

(2) قال أحمد: ولقد أحسن في تقوية هذا المعنى في هذه الآية، بقوله:

﴿فاعبوا ما شئتم من نونه﴾ فإن مقابلته بعدم الحصر ترجب

حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى:  
﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشْرَاكِهِمْ يَوْمَ جَنَاتٍ﴾ (2) وأراد بعباد.

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ  
وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَوْلَا الْأَلْبَابِ ﴿٨﴾.

وأراد بعباده ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون  
أحسنه﴾ الذين اجتنبوا وأنبأوا لا غيرهم، وإنما أراد بهم  
أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع  
الظاهر موضع الضمير وأراد أن يكونوا نقاداً في الدين  
يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل، والأفضل فإذا  
اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح  
والندب حرصاً على ما هو أقرب عند الله، وأكثر ثواباً  
ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك وأقواها  
عند السبر<sup>(3)</sup> وأبينها دليلاً أو أمارة وأن لا تكون في مذهبه  
كما قال القائل: ولا تكن مثل عيرٍ قيد فانقادا: يريد المقلد  
وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل:  
يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصص والعفو  
والانتصار والإغضاء والإبداء والإخفاء لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ  
تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (4) ﴿وَأَنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ  
خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (5) وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل  
يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو  
فيحدث بأحسن ما سمع، ويكف عما سواه ومن الوقفة من  
يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذير يستمعون يرفعه على  
الابتداء وخبره ﴿أولئك﴾ أصل الكلام أمن حق عليه كلمة  
العذاب، فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار  
والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على  
محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أنت مالك أمرهم.

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنذِرُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿٨﴾.

فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي  
الأولى كزرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد، ووضع من  
في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة  
وجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه  
العذاب فانت تخلصه أفانت تنقذ من في النار وإنما جاز  
حذف، فانت تخلصه لأن أفانت تنقذ يدل عليه نزل  
استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة نخولهم النار حتى  
نزل اجتهاد رسول الله ﷺ وكده نفسه في دعائهم إلى  
الإيمان منزلة إنقاذهم من النار، وقوله أفانت تنقذ يفيد  
أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده  
لا يقدر على ذلك أحد غيره، فكما لا تقدر أنت أن تنقذ  
الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه

وأخره في الأوجل فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه  
وإيجاده وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه  
قوله:

فَاعْبُدُوا مَا بِيَدِهِ قُلْ إِنَّ لِكَلِمَتَيْنِ الْذِينَ حَرَمُوا أَنفُسَهُمْ  
وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْمَثَرَانِ الْآخِرِينَ ﴿٨﴾.

﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ والمراد بهذا الأمر  
الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على  
ما حقت فيه القول مرتين قل إن الكاملين في الخسران  
الجامعين لوجوه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم  
لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها ﴿و﴾ خسروا ﴿أهلهم﴾  
لأنهم بن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا  
أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً  
لا يرجع بعده إليهم وقبل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا  
مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني: وخسروا  
أهلهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف  
خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله: ﴿ألا ذلك هو الخسران  
المبين﴾ حيث استأنف الجمل وصدرها بحرف التنبيه  
ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته  
بالمبيز.

لَمْ يَنْ يَنْ قَوْمِهِمْ تُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ تُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ  
عِبَادَهُمْ يَجِبَا فَاتَّقُوا ﴿١٦﴾.

﴿ومن تحتهم﴾ أطباق من النار هي ﴿تلل﴾ لآخرين  
﴿ذلك﴾ العذاب هو الذي يتوعد الله ﴿ببه عباده﴾،  
ويخوئهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿بها عباد فاتقون﴾  
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى  
ونصيحة بالغة، وقرئ: ﴿بها عباده﴾.

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتْلُمُونَ أَنْ تَبْذُرُوهُمَا وَأَنْبَأُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ  
عِبَادَ ﴿١٧﴾.

﴿الطاغوت﴾ فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت  
إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على العين أطلقت على  
الشیطان أو الشياطين لكونها مصدرًا وفيها مبالغات وهي  
التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء  
مبالغة، فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك  
المبسط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير  
الشیطان والمراد بها هنا الجمع، وقرئ الطواغيت ﴿أن  
يعبوهما﴾ بدل من الطاغوت بدل الاشتمال ﴿لهم  
البشرى﴾ هي البشار بالثواب كقوله تعالى: ﴿لهم البشرى  
في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (1) الله عز وجل يبشرهم  
بنلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند

(1) سورة يونس، الآية: 64.

(2) سورة الحديد، الآية: 12.

(3) قال أحمد: لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من

المذاهب الربية والمعتقدات الفاسدة، حتى حقت من كلامه هذا =

= أن ذلك التصميم كان متمكناً من فؤاده الصميم، فلا حول ولا قوة  
إلا بالله العلي العظيم.

(4) سورة البقرة، الآية: 237.

(5) سورة البقرة، الآية: 271.

من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه.

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْهُمْ لِمَنْ عُرفَ مِنَ قَوْمِهِمْ مِنْ تَجْرِئٍ مِنْ تَحِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَحِلُّ اللَّهُ الْيَمَادَ ﴿٢٤﴾.

﴿عرف من فوقها عرف﴾ علالي بعضها فوق بعض.

فإن قُلْتُ: ما معنى قوله ﴿مينية﴾! قُلْتُ: معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل ﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد لأن قوله لهم: عرف في معنى وعدهم الله ذلك.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَوجِبُ فَتْرَةً مُمْسِكًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾.

﴿أنزل من السماء ماء﴾ هو المطر وقيل: كل ماء في الأرض، فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله ﴿فسلكه﴾ فأنخله ونظمه ﴿ينابيع في الأرض﴾ عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد ﴿مختلفا لوانه﴾ هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك وأصنافه من برّ وشعير وسمسم وغيرها ﴿يهبج﴾ يتم جفافه عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن مثابته ويذهب ﴿حطالاً﴾ فتاتاً ودريناً ﴿إن في ذلك لذكرى﴾ لتذكيراً وتنبهها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتبدير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلاً للدنيا كقوله تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾<sup>(1)</sup> ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾<sup>(2)</sup> وقرئ مصفاً.

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ قَوْلٌ لِّلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي صَكَلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٣﴾.

﴿افمن﴾ عرف الله أنه من أهل اللطف فلفظ به حتى انشرح صدره للإسلام ورجب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب، ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقيل: يا رسول الله كيف انشرح الصدر قال: إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل: يا رسول الله فما علامة ذلك قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت<sup>(3)</sup> وهو نظير قوله أمن هو قانت في حنف الخبر ﴿من ذكر الله﴾ من أجل ذكره أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمازوا، وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى: فزادتهم رجساً إلى رجسهم وقرئ عن نكر الله.

فإن قُلْتُ: ما الفرق بين من وعن في هذا؟ قُلْتُ: إذا قلت

قسا قلبه من نكر الله فالمعنى ما نكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن نكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاها من العيمة أي من أجل عطشه وسقاها من العيمة إذا أرواه حتى أبعدته عن العطش، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا ملة فقالوا له: حدثنا فنزلت. وإيقاع اسم الله مبتدأ، وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وإنه من عنده وإن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبه على أنه وحي معجز مبين لسائر الأحاديث.

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْآيَاتِ كِتَابًا مُّشَبَّهًا مَّثَانِي تَنْشِيرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْتُونُونَ مِنْهُمْ ثُمَّ نَبَأُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ، مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ بِمَن هَادٍ ﴿٣٣﴾.

و ﴿كتاباً﴾ يدل من أحسن الحديث، ويحتمل أن يكون حالاً منه ﴿ومتشابهاً﴾ مطلق في مشابهة بعضه بعضاً فكان متناولاً لتشابه معانيه في الصحة والإحكام، والبناء على الحق والصق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناسفها في التخير والإصابة وتجواب نظمته وتأليفه في الإعجاز والتبكيك ويجوز أن يكون ﴿مثنائي﴾ بياناً لكونه متشابهاً لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثنائي جمع مثنى بمعنى: مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبأه وأحكامه وأوامره ونواهيه وعده ووعيدته ومواعظه وقيل: لأنه ينثى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد<sup>(4)</sup>، ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى: ﴿ثم أرجع البصر كرتين﴾ بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك.

فإن قُلْتُ: كيف وصف الواحد بالجمع؟ قُلْتُ: إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفصيل الشيء هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول: أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك: الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتاباً متشابهاً فصولاً مثنائي، ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثنائي صفة ويكون منتصباً على التمييز من متشابهاً كما تقول: رأيت رجلاً حسناً شمائل والمعنى متشابهة مثنائي.

فإن قُلْتُ: ما فائدة التثنية والتكرير؟ قُلْتُ: النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عوداً عن يده لم يرسخ فيها، ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة

(3) أخرجه الحاكم في المستدرک: 311/4.

(4) أخرجه أحمد في مسنده عن ابن مسعود: 405/1.

(1) سورة يونس، الآية: 24.

(2) سورة الكهف، الآية: 45.

فحذف الخبر<sup>(2)</sup> كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفاً من المخاوف استقبله بيده، وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مخلولة يداه إلى عنقه فلا يتبها له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل: المراد بالوجه الجملة وقيل: نزلت في أي جهل ﴿وقيل﴾ لهم: خزنة النار ﴿نوقوا﴾ وبال ﴿ما كنتم تكسبون﴾.

كذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾.

﴿من حيث لا يشعرون﴾ من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينما هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مامنهم.

فَأَذَانُ اللَّهِ لِلرِّزْقِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَدْ صَرَّحْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾.

والخزي: الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله.

قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِجَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٨﴾.

﴿قرآنًا عربيًّا﴾ حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلاً صالحاً وإنساناً عاقلاً، ويجوز أن ينتصب على المدح ﴿غير ذي عوج﴾ مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف.

فإن قُلْتُ: فهلا قيل مستقيماً أو غير معوج! قُلْتُ: فيه فائدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال: ولم يجعل له عوجاً والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل: المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد:

وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب

صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُشْرِكُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا رَجُلٌ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾.

واضرب قومك مثلاً وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف، وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبدهم فهم يتجادبون، ويتعاونونه في مهن شتى ومشادة وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سائر قد تشبعت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته، وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبيدين أحسن حالاً وأجمل

رسول الله ﷺ أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبباً<sup>(1)</sup> ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من حروف القشع، وهو الأديم اليابس مضموماً إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعياً ودالاً على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره، وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويراً لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم، ثم إذا نكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة.

فإن قُلْتُ: ما وجه تعدية لأن بالي؟ قُلْتُ: ضمن معنى فعل متعد بالي كأنه قيل: سكنت أو اطمانت إلى نكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية.

فإن قُلْتُ: فلم اقتصر على نكر الله من غير نكر الرحمة؟ قُلْتُ: لأن أصل أمره الرحمة والرافة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته إذا نكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤفاً رحيماً.

فإن قُلْتُ: لم ذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً؟ قُلْتُ: إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل: تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا نكروا الله ومبني أمره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينة في جلودهم ﴿ولئك﴾ إشارة إلى الكتاب وهو ﴿هدى الله يهدي به﴾ يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال: ﴿هدى للمتقين﴾ ﴿ومن يضل الله﴾ ومن يخذله من الفساق والفجرة ﴿فما له من هاد﴾ أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هداة وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى ﴿يهدى به﴾ بهذا الأثر من يشاء من عباده يعني: من صحب أولئك ورأهم خاشعين راجين فكان ذلك مرغباً لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضل الله ومن لم يؤثر فيه اللطافة لقسوة قلبه وإصراره على فسوجه فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط يقا انقائه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه وانقاه بيده وتقديره.

أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَبِلُ لِلظَّالِمِينَ دَرُؤُهُ مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٧٠﴾.

﴿فمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾ كمن آمن العذاب،

= ولكنه لم يجد ما يتقي به النار غير وجهه، ولو وجد لفعل فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال المتقي بوجهه، فعبر ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلي، والله أعلم.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عن: (الحديث: 95)، وأحمد في المسند 3/213.

(2) قال أحمد: الملقى في النار والعباد بالله لم يقصد الاتقاء بوجهه، =

لأن ما هو كائن، فكان قد كان.

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿ثم إنكم﴾ ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب ﴿تختصمون﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكنبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتدرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا سابتنا وكبراءنا، وتقول السادات أغوتنا الشياطين وأباؤنا الأقدمون وقد حمل على اختصاص الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضاً حتى يقال لهم: لا تختصموا لديّ والمؤمنون الكافرين بيكتوهم بالحجج، وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتاب قلنا كيف نختم ونبيننا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فيها<sup>(4)</sup>، وقال أبو سعيد الخدري: كما تقول ربنا واحد ونبيننا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا: نعم، هو هذا<sup>(5)</sup> وعن إبراهيم النخعي: قالت الصحابة: ما خصومتنا، ونحن إخوان؟ فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومتنا<sup>(6)</sup>. عن أبي العالية: نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولاً ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾<sup>(7)</sup> وقوله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾<sup>(8)</sup> وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة.

﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ؛ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ لَمْ يَأْتِ بِشَاكِرٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾

﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ هو رسول الله ﷺ جاء بالصدق وأمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم يهتدون، فلذلك قال: ﴿أولئك هم المتقون﴾ إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به، وقرئ: وصدق به

شأناً والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبويته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبا كما قال تعالى: ﴿ولعلنا بعضهم على بعض﴾<sup>(1)</sup> ويبقى هو متحيراً ضائعاً لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقته فهم شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلهاً واحداً فهو قائم بما كلفه عارف بما أراضاه، وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله و﴿فيه﴾ صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاكس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاكست أسنانه ﴿سالمًا لرجل﴾ خالصًا، وقرئ: سلمًا بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرهما مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة، وقرئ: بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وإنما جعله رجلاً ليكون أفطن لما شقى به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك ﴿هل يستويان مثلاً﴾ هل يستويان صفة على التمييز والمعنى: هل يستوي صفاتهما وحالهما وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ: مثلين كقوله تعالى: ﴿وأكثر أموالاً وأولاداً﴾<sup>(2)</sup> مع قوله أشدّ منهم قوة، ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى: هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول: كفى بهما رجلين ﴿الحمد لله﴾ الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجّهاً إليه وحده، والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا هو ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته، فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة: نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم أنفسكم.

إِنَّكَ مِيتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٩﴾

وقرئ: مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت<sup>(3)</sup> أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غداً كما تقول سائد غداً أي سيموت وسيسود، وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى

= حية ويرسل الأخرى، أي: النائمة إلى الأجل الذي سماه، أي: قدره لموتها الحقيقي هذا أوضح ما قيل في تفسير الآية، والله أعلم.

(4) أخرجه الحاكم في المستدرک، 572/4.

(5) نكره الثعلبي تعليلاً، الزيلعي 204/3.

(6) رواه عبد الرزاق في تفسيره والطبري والثعلبي، الزيلعي 204/3.

(7) سورة الزمر، الآية: 32.

(8) سورة الزمر، الآية: 33.

(1) سورة المؤمنون، الآية: 91.

(2) سورة التوبة، الآية: 69.

(3) قال أحمد: فاستعمال ميت مجاز إذ الخطاب مع الأحياء، واستعمال مائت حقيقة إذ لا يعطى اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب ونظيره قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾، يعني: توفي الموت والتي لم تمت في منامها، أي: يتوفاها حين المنام تشبيهاً للنوم بالموت كقوله: ﴿هو الذي يتوفاكم بالليل﴾ فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت الحقيقي، أي: لا يردها في وقتها =

مفاعلة من الكفاية كقولك: يجازي في يجزي، وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة والمبالاة أن يكون مهموزاً من المكافاة وهي المجازاة لما تقدّم من قوله: ويجزيهم أجرهم ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أراد الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧).

﴿بعزيز﴾ بغالب منيع ﴿ذي انتقام﴾ ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم.

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيُؤْتِيَنَّ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بُشْرًا مِمَّا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَافِرَاتٌ كَرِيمَاتٌ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتٌ رَحِيمَاتٌ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨).

قرئ: ﴿كاشفات﴾ ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف.

فإن قلت: لم فرض المسألة في نفسه دونهم؟ قلت: لأنهم خوفوه معزة الأوثان وتخيلها، فأمر بأن يقرّهم أولاً بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير: فإذا أرادني خالق العالم أقررتم به بضر من مرض، أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره، أو ممسكات رحمته حتى إذا القمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال ﴿حسبي الله﴾ كافيًا لمعزة أوثانكم ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ وفيه تهكم ويروى أنّ النبي ﷺ سألهم فسكتوا ﴿فنزّل قل حسبي الله﴾.

فإن قلت: لم قيل كاشفات، وممسكات على التانيث بعد قوله تعالى: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ قلت: أنهن وكن إناثاً وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى﴾<sup>(١)</sup> ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف، وتعجز عما طالبهم به من كشف الضر وإمسك الرحمة لأنّ الأنوثة من باب اللين والرخاوة كما أنّ الذكورة من باب الشدّة والصلابة كأنه قال: الإناث اللاتي هنّ اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهنّ وأعجز وفيه تهكم أيضاً.

قُلْ يَتَوَكَّرُ أَعْمَلُوا عَلَيَّ مَا تَكُنُّمُ إِنِّي عَمِلٌ سَوَفَ تَعْمَلُونَ (٣٩).

﴿على مكانتكم﴾ على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى: المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث الزمان وهما للمكان.

بالتخفيف أي: صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني: أذاه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف، وقيل: صار صادقاً به أي: بسببه لأنّ القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصلق إلا لصابق، فيصير لذلك صادقاً بالمعجزة وقرئ: وصدّق به.

﴿كذب على الله﴾ افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه. ﴿وكذب بالصدق﴾ بالامر الذي هو الصدق بعينه، وهو ما جاء به محمد ﷺ ﴿إذ جاءه﴾ فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون ﴿مثنوى للكافرين﴾ أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق، واللام في للكافرين إشارة إليهم.

إِلَيْكَ كَرِهَ اللَّهُ عَنِمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٠).

فإن قلت: ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا، وما معنى التفضيل فيهما؟ قلت: أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل، فإيذان بأن السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملوه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن، وقرئ: أسوأ الذي عملوا جمع سوء.

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٤١).

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، فأنيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها قرئ: بكاف عبده وهو رسول الله ﷺ وبكاف عباده وهم الأنبياء، وذلك أن قريشاً قالت لرسول الله ﷺ: إنا نخاف أن تخيلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرفتها لعيبك إياها ويروى أنه بعث خالدًا إلى العزى ليكسرها فقال له سادتها: أحذركها يا خالد إن لها لشدّة لا يقوم لها شيء فعمد خالدًا إليها فهشم أنفها، فقال الله عز وجل: أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويضع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضرر أو أليس الله بكاف أنبياءه، ولقد قالت: أمهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحتهم، وقرئ: بكافي عباده على الإضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل أن يكون غير مهموز



غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** ما العامل في إذا نكراً! **قُلْتُمْ:** العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت نكر الذين من دون فاجأوا وقت الاستبشار بعل رسول الله ﷺ بهم، وبشدة شكيتهم في الكفر والعناد فقيل له: ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحكك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم، وفيه وصف لحالهم وإعذار لرسول الله ﷺ وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم، وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا: الآن يتكلم فما زاد على أن قال: أه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية، وروي أنه قال على أثره قتل من كان رسول الله ﷺ يجلسه في حجره، ويضع فاه على فيه.

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جِمْعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٧﴾.

**﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ﴾** وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله تعالى في الوعد: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا خَفَى لَهُمْ﴾** والمعنى: وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل: عملوا أعمالاً حسبوها حسنات، فإذا هي سيئات وعن سفیان الثوري أنه قرأها فقال: ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزء محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال: أخشى آية من كتاب الله وتلاها، فإنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحسبه.

وَمَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾.

**﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾** أي سيئات أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى: أحصاه الله، ونسوه أو أراد بالسَيِّئَاتِ أنواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماهم سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها **﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾** ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم.

فَإِذَا مَنَّ الْأَلْسُنُ سُرًّا دَعَا نَمًّا إِذَا حَوْلَكَ نِعْمَةً مَنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾.

التخويل مختص بالتفضل يقال حولني إذا أعطاك على غير جزاء **﴿عَلَى عِلْمٍ﴾** أي على علم مني أني سأعطاه لما

فِي مِنْ فَضْلٍ، واستحقاق أو على علم من الله بي وباستحقاقه<sup>(1)</sup> أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون: على علم عندي.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** لِمَ نكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة؟ **قُلْتُمْ:** ذهاباً به إلى المعنى لأن قوله نعمة منا شيئاً من النعم وقسماً منها، ويحتمل أن تكون ما في إنما موصولة لا كافة فيرجع إليها الضمير على معنى أن الذي أوتيته على علم **﴿بل هي فتنة﴾** إنكار لقوله كأنه قال: ما حولناك ما حولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** كيف نكر الضمير ثم أنه؟ **قُلْتُمْ:** حملاً على المعنى أولاً وعلى اللفظ آخرًا ولأن الخبر لما كان مؤنثاً أعني فتنة ساغ تانيث المبتدأ لأجله لأنه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك، وقرئ: بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** ما السبب في عطف هذه الآية الفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو؟ **قُلْتُمْ:** السبب في ذلك أن هذه، وقعت مسببة عن قوله وإذا نكر الله وحده<sup>(2)</sup> أشمأزت على معنى: أنهم يشمئزون عن نكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم ضر دعا من أشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه **قُلْتُمْ:** ما في الاعتراض من دعاء رسول الله ﷺ ربه بأمر منه، وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار أشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل: يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت، وقوله لو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقاً أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل، ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعاً ومثله معه لاقتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب، وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم وإلا بقيت محتجبة في أكمامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطف عليها بالواو، وكقولك قام زيد وقعد عمرو.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** من أي وجه، وقعت مسببة والأشمئزاز عن نكر الله ليس بمقتضى لالتجائهم إليه بل هو مقتض صدوقهم عنه **قُلْتُمْ:** في هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول: زيد مؤمن بالله فإذا مسه ضر التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر

== ذلك قول سيد البشر ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، فما أحق من مني نفسه، وركب رأسه، وطمع أنه يستحق على الله الجنة.

(2) قال أحمد: كلام جليل فانهمه فضلاً عن شبه قليل.

(1) قال أحمد: كذلك يقول علي قنبري: تمنى على الله أن يثبته في الآخرة أن الفرق بين حمد الدنيا، وحمد الآخرة، أن حمد الدنيا واجب على العبد؛ لأنه على نعمة متفضل بها، وحمد الآخرة ليس بواجب عليه؛ لأنه على نعمة واجبة على الله عز وجل، ولقد صدق الله إذ يقول: وهي فتنة إنما سلم منها أهل السنة إذ يحتقون أن الثواب بفضل الله ويرحمته لا باستحقاق، ويتبعون في

لا لبس فيه، ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسه ضر التجأ إلى الله فتجئء بالفداء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجربيه مجراه في جعله سبباً في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام والانكار والتعجب من فعله، الضمير في.

مَدَّ قَالَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥١﴾.

**﴿قَالَهَا﴾** راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول، وقرئ: قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال: إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها، ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها **﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** من متاع الدنيا ويجمعون منه.

فَأَسَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيِّئِيهِمْ سَيِّئَاتٌ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾.

**﴿من هؤلاء﴾** من مشركي قومك **﴿سَيِّئِيهِمْ﴾** مثل ما أصاب أولئك فقتل صنائدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فحطوا سبع سنين.

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾.

ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقبل لهم: **﴿أو لم يعلموا﴾** أنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل.

﴿قُلْ يَبَايَدُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَنْ أُنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ الرَّجِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

**﴿أسرفوا على أنفسهم﴾** جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها **﴿لا تظنطوا﴾**، قرئ: بفتح النون وكسرهما وضمها **﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾** يعني بشرط التوبة، وقد تكرر نكر هذا الشرط في القرآن فكان نكره فيما نكر فيه نكراً له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء، والمراد بمن يشاء من تاب لأن مشيئة الله تابعة لحكمته وعده لا لملكه وجبروته وقيل: في قراءة النبي ﷺ وقاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله تعالى: **﴿ولا يخاف عقابها﴾** وقيل قال: أهل مكة يزعم محمد أن من عبد الأوثان، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم تهاجر؟ وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت، وروي أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا

وعذبوا، فافتننوا فكننا نقول لا يقبل الله لهم صرفاً ولا عدلاً أبداً فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه إليهم، فأسلموا وهاجروا وقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله ﷺ: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية: فقال رجل: يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة، ثم قال: ألا ومن أشرك ثلاث مرات (1).

وَأَيُّبًا بِأَنَّ رَبَّكَمُ وَأَسْلِمُوا لَمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾.

**﴿وانيبوا إلى ربكم﴾** وتوبوا إليه **﴿وأسلموا له﴾** وأخلصوا له العمل، وإنما نكر الإنابة على أثر المغفرة لثلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونها.

وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمُ مِنْ رَبِّكُمُ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾.

**﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾** مثل قوله الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه **﴿وانتقم لا تشعرون﴾** أي فيجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئاً لفرط غفلتكم وسهوكم.

أَنْ تَقُولَ نَحْنُ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا قَرَّمْتُ فِي جُنُبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَئِنِ التَّخَّرِينَ ﴿٥٦﴾.

**﴿ان تقول نفس﴾** كرامة ان تقول.

**﴿فإن قلت﴾** لم نكرت؟ **﴿قلت﴾** لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر، ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج في الكفر شديد أو بعداب عظيم ويجوز أن يراد التفسير كما قال الأعشى:

ورب بقية لو هتفت بجوه أتاني كريم ينفذ الرأس مغضبا وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريماً واحداً ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت، وقد اختلس الطعنة لا يقصد إلا التفسير، وقرئ: يا حسرتي على الأصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب، ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريون في حقه قال سابق البربري:

أما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت فيه ألا ترى إلى قوله:

إن السماحة والمرودة والندى في قبة ضربة على ابن الحشرج ومنه قول الناس: لمكانك فعلت كذا، يريدون لأجلك وفي الحديث: من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل (2)، وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبيح

(1) أخرجه البيهقي في الشعب، باب: في معالجة كل ذنب بالتوبة

(الحديث رقم: 7137).

في أمره وتعللاً بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين، ونحو ذلك ونحوه لو هदानا الله لهديناكم وقوله:

بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾.

﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ رد من الله عليه معناه: بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى، وقرئ: بكسر التاء على مخاطبة النفس.

فإن قُلْتُ: هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله: لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية! قُلْتُ: لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفترق بينهما وإما أن تؤخر القرينة الوسطى، فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة، ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها، ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب.

فإن قُلْتُ: كيف صح أن تقع بلى جواباً لغير منفي؟ قُلْتُ: لو أن الله هداني فيه معنى ما هديت.

وَيَوْمَ الْيَمِينَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٠٦﴾.

﴿حذّبوا على الله﴾ وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى، وهو متعال عنه<sup>(1)</sup> فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا، وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا

فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين نكر المكان وتركه قيل: ﴿فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ على معنى فرطت في ذات الله.

فإن قُلْتُ: فمرجع كلامك إلى أن نكر الجنب كلا نكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل: فرطت في الله فما معنى فرطت في الله؟ قُلْتُ: لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء نكر الجنب، أو لم ينكروا المعنى: فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في نكر الله، وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل، وإن كنت النصب على الحال كأنه قال: فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي، وروي أنه كان في بني إسرائيل عالم ترك علمه وفسق وأتاه إبليس وقال له: تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فأنفقه في الفجور فأتاه ملك الموت في الذم ما كان فقال: يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره في القرآن.

أَلَمْ تَقُولْ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ بَيْنَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿لو أن الله هداني﴾ لا يخلو إما أن يريد به الهداية بالإجاء أو بالإلطف أو بالوحي فالإجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الإلطف، فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وإنما يقول هذا تحجيراً

(1) أخرجه أحمد في المسند 3/30، والحاكم في المستدرک 4/329.  
(2) قال أحمد: قد عدا طور التفسير لمرض في قلبه لا بدوا له إلا التوفيق الذي حرمة ولا يعافيه منه إلا الذي قتر عليه هذا الضلال وحتمه، وسنقيم عليه حد الرد؛ لأنه قد أبدى صفحته، ولولا شرط الكتاب لأضربنا عنه صفحاً ولوينا عن الالتفات إليه كشحاً وبالله التوفيق. فنقول: أما تعريضه بأن أهل السنة يعتقدون أن القبائح من فعل الله تعالى، فيرجعه باعتقادهم المشار إليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة: ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾، أما الزمخشري وإخوانه القدرية، فيغيرون في وجه هذه الآية، ويقولون: ليس خالق كل شيء؛ لأن القبائح أشياء وليست مخلوقة له، فاعتقدوا أنهم نزها، وإنما أشركوا، وأما تعريضه لهم في أنهم يجوزون أن يخلق خلقاً لا لغرض فنلك؛ لأن أفعاله تعالى لا تعلل؛ لأنه الفعل لما يشاء، وعند القدرية ليس فعلاً لما يشاء؛ لأن الفعل إما منظو على حكمة ومصلحة فيجب عليه أن يفعله عندهم، وإما عار عنها فيجب عليه أن لا يفعله فإن أثر المشيئة إذاً، وأما اعتقاده أن في تكليف ما لا يطاق تظليماً لله تعالى فاعتقاد باطل؛ لأن ذلك إنما ثبت لازماً باعتقادهم أن الله تعالى خالق أفعال عبده، فالتكليف بها تكليف بما ليس مخلوقاً لهم، والقاعدة الأولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم إلا التصرف في ملك الغير بغير إذنه، والعباد ملك الله تعالى، فكيف يتصور حقيقة الظلم منه

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وأما تعريضه بانهم يجوزون أن يؤلم لا لعوض، فيقال له: ما قولك أيها الظلمين في إيلاء الجاهل والأفقال؟ ولا أعواض لها، وليس مرتباً على استحقاق سابق خلافاً للقدرية إذ يقولون: لا بد في الألم من استحقاق سابق، أو عوض. وأما اعتقاده أن تجويز رؤية الله تعالى يستلزم اعتقاد الجسمية، فإنه اغترار في اعتقاده بأدلة العقل المجوزة لذلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية، ولم يشعر أنه يقابل بهداية قول نبي الهدى عليه الصلاة والسلام إنكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فهذا النص الذي ينبو عن التأويل ولا يردع المتمسك به شيء من التهويل، وأما قوله: إنهم يتسترون بالبلكفة فيعني به: قولهم بلا كيف أجل إنها لستر لا تهتك يد الباطل البتراء، ولا تبعد عن الهدى عين الضلال العوراء، وأما تعريضه بانهم يجعلون الله أنداداً بإثباتهم معه قديماً فنفي لإثباتهم صفات الكمال كلا والله إنما جعل الله أنداداً القدرية إذ جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون، ويشتهون على خلاف مراد ربهم حتى قالوا: إن ما شاؤهم كان وما شاء الله لا يكون، وأما أهل السنة فلم يزيدوا على أن اعتقدوا أن الله تعالى علماً، وقدرة، وإرادة، وسمعاً وبصراً، وكلاماً، وحياء، حسبما دل عليه العقل وورد به الشرع، وأي مخلص للقدرية إذا سمع قوله تعالى: ﴿وسع ربنا كل شيء﴾، علماً إلا اعتقاد أن الله تعالى علماً أو جحد

والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها، وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلاً بما يليه على أن كل شيء في السموات والأرض فاش خالقه، وفتح بابيه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل: سال عثمان رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فقال: يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخِر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير<sup>(2)</sup>، وتاويله على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات، والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون.

قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ أَيَّ الْإِلَهَاتِ ۗ (١٧)

﴿أغفِر الله﴾ منصوب بأعبد و﴿تأمروني﴾ اعتراض ومعناه: أغفِر الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون: استلم بعض آلهتنا، ونؤمن بإلهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لانه في معنى تعبدوني وتقولون لي: أعبد والأصل تأمروني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله: الا أيهذا الزاجري أحضر الوغى. الا ترك تقول أغفِر الله تقولون لي أعبد وأغفِر الله تقولون لي أعبد فكنك أغفِر الله تأمروني أن أعبد وأغفِر الله تأمروني أن أعبد واللليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب، وقرئ تأمروني على الأصل وتأمروني على إدغام النون أو حذفها.

وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٥)

قرئ: ﴿ليحبطن﴾ عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء أي: ليحبطن الله أو الشرك.

فإن قُلْتُ: الموحى إليهم جماعة فكيف قال: ﴿لئن أشركت﴾ على التوحيد؟ قُلْتُ: معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله، وأوحى إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت، كما تقول كساننا حلة أي كل واحد منا.

والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقاً لا لغرض، ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئياً معانياً مدركاً بالحاسة ويثبتون له يداً وقدماً وجنباً مستترين بالبلطف، ويجعلون له أنداداً بإثباتهم معه قداماً. ﴿وجوههم مسودة﴾ جملة في موضع الحال إن كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب.

وَيَسْئَلُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَعَارِبِهِمْ لَا يَسْأَلُهُمْ السُّوءَ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٦) اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٧)

وقرئ: ينجي ويُنجي ﴿بمفازتهم﴾ بفلاحهم يقال: فاز بكذا إذا أفلح به وظرف بمراهه منه وتفسيره المفازة قوله ﴿لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾ كانه قيل: ما مفازتهم فقيل: لا يمسهم السوء أي: ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم، أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾<sup>(1)</sup> أي: بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة، ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة، ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها، وقرئ: بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة.

فإن قُلْتُ: لا يمسهم ما محله من الإعراب على التفسيرين؟ قُلْتُ: أما على التفسير الأول فلا محل له لانه كلام مستأنف، وأما على الثاني فمحله النصب على الحال.

لَمْ يَمَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْكَاسِرُونَ (١٦)

﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أي: هو مالك أمرها وحافظها، وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدير أمرها هو الذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم فلان أقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل: مقلد ويقال إقلد وأقليد والكلمة أصلها فارسية.

فإن قُلْتُ: ما للكتاب العربي المبين والمفارسية! قُلْتُ: التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملًا.

فإن قُلْتُ: بما اتصل قوله: ﴿والذين كفروا﴾ قُلْتُ: بقوله: ﴿وينجي الله الذين اتقوا﴾ أي: ينجي الله المتقين بمفازتهم،

= اتصف في هذه المباحثة بحال من بحث بظلفه عن حثفه، وتمريضه معتقده الفاسد لهتك ستره، وكشفه، وإنما حملني على إغلاظ مخاطبته الغضب لله تعالى ورسوله ﷺ وأهل سنته، فإنه قد أساء عليهم الأدب ونسبهم بكنبه إلى الكذب والله الموعد.

(1) سورة آل عمران، الآية: 188.

(2) أخرجه أبو يعلى، وكرهه العقيلي.

= آيات الله، وإطفاء نوره ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ وأما قوله: إنهم يثبتون لله تعالى يداً وقدماً ووجهاً فذلك فرية ما فيها مرية ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة، وإنما أثبت القاضي أبو بكر صفات سمعية وردت في القرآن: اليدان، والعينان، والوجه ولم يتجاوز في إثباتها ما وردت عليه في كتاب الله العزيز على أن غيره من أهل السنة حمل البيهين على القدرة، والنعمة، والوجه على الذات، وقد مر ذلك في مواضع من الكتاب، فقد =

قال ثم قرأ تصديقاً له ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (2) الآية وإنما ضحك أقصَح العرب ﷺ وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصوّر إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أوّل شيءٍ وأخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتننها الأوهام هيئة عليه هواناً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبادة في مثل هذه الطريقة من التخيل، ولا ترى باباً في علم البيان أنق ولا أرق ولا اللطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإن أكثره وعليته تخيلات قد زلت فيها الأقدام قديماً وما أتى الزلون إلا من قلة عنايتهم بالبحث، والتفكير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدره حق قدره لما تخفى عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه، وعيال عليه إذ لا يحل عقدها المؤزبة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل، وحديث من أحاديث الرسول قد ضميم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نغير، ولا يعرف قبيلاً منه من بيبير والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعاً وقوله والسماوات، ولأنّ الموضوع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيد بالجميع أتبع الجميع مؤكداً قبل مجيء الخبر ليعلم أوّل الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة، ولكن عن الأراضي كلهن والقبضة المرة من القبض «فقبضت قبضة من أثر الرسول» والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضاً أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع (3) وكلا المعنيين محتمل والمعنى والأرضون جميعاً قبضته أي: نوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني: أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلّة جرعة أي ذات أكلته وذات جرعة تريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته، وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأنّ المعنى أن الأرضين بحملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة.

فإن قلّت: ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب! قلّت: جعلها ظرفاً مشبهاً للمؤقت بالمبهم، مطويات من الطي الذي هو ضدّ النشر كما قال تعالى: ﴿يوم تطوي السماء كطي السجل للكتب﴾ (4) وعادة طاري السجل أن يطويه

فإن قلّت: ما الفرق بين اللامين؟ قلّت: الأولى موطئة للقسام المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسدّ الجوابين أعني جوابي القسم والشرط.

فإن قلّت: كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم؟ قلّت: هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى إلى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً يعني: على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي إليه ووجود الصارف عنه.

فإن قلّت: ما معنى قوله: ﴿ولتكونن من الخاسرين﴾؟ قلّت: يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة، ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشدّ فلا يمهله بعد الردة ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إذاً لأنقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ (1).

بِإِذْنِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٦﴾.

﴿بل الله فاعبد﴾ ردّ لما امره به من استلام بعض أهلهم كأنه قال: لا تعبد ما أمرك بعبادته بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله فحذف الشرط، وجعل تقديم المفعول عوضاً منه ﴿وكن من الشاكرين﴾ على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمّر هذا معطوف عليه تقديره بل الله أعبد، فاعبد لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته، وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل:

وَأَقْدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ طَوْيَاتٌ بِسَمِيئِهِ سُحْبَتُهُ وَمَثَلُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾.

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾، وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه، ثم نبههم على عظمتهم وجلاله شأنه على طريقة التخيل فقال: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾، والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو وبجملته ومجموعه تصوير عظمتهم والتوقيف على كنهه جلالة لا غير من غير نهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة، أو جهة مجاز وكذلك حكم ما يروي أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما

(1) (الحديث: 1981).

(1) سورة الإسراء، الآية: 75.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 104.

(2) راجع الحديث رقم 121/1.

(3) أخرجه الدراري في كتاب: الاضاحي، باب: ما لا يؤكل من السباع=

بيمينه وقيل: قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته، وقيل: مطويات بيمينه مقنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشم رائحة من علمنا هذا، فليعرض عليه هذا التأويل ليلتهي بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني من به أمثاله، وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تنوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين، وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الأرض وبخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال ﴿سبحانه وتعالى﴾ ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء.

فإن قُلْتُمْ: لم اضيف إليهم اليوم؟ قُلْتُمْ: أرادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة، وقد جاء استعمال اليوم والايام مستقيضاً في اوقات الشدة.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ فِإِذَا جَاءُوهَا فَجَعَلْتُمُوهَا قُلُوبًا ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْثَرُ ۖ وَقَالَ لَكُمْ رَبَّنَا لِمَ يَا رَبُّ نُرْسِلُكُمْ فِيهَا بِنُحُورِكُمْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا رَبِّنَا ۖ وَإِنَّا لَنَكْتُبُ لَكُمْ بِئْسَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾

﴿قالوا بلى﴾ اتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا: غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين فنكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال.

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَآبًا لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٧﴾

اللام في المتكبرين للجنس لأن ﴿مئوى المتكبرين﴾ فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مئوى المتكبرين جهنم.

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ ۖ فَلَمَّا دَخَلُوا هَلَّوْا بِسُلُوكِهَا خَالِدِينَ ﴿٧٨﴾

﴿حتى﴾ هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل: حتى إذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل: أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بلليل قوله: جنات عدن مفتحة

بيمينه وقيل: قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته، وقيل: مطويات بيمينه مقنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ومن اشم رائحة من علمنا هذا، فليعرض عليه هذا التأويل ليلتهي بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني من به أمثاله، وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تنوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين، وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الأرض وبخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال ﴿سبحانه وتعالى﴾ ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُحُورِهِمْ يَظُنُّونَ ﴿٧٩﴾

فإن قُلْتُمْ: ﴿أخرى﴾ ما محلها من الإعراب؟ قُلْتُمْ: يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ (١) وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى: ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذف لدلالة أخرى عليها، ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياماً ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب، وقيل: ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم.

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكَلْبُ وَجَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ السَّحَابُ الْمُدْبَغَةُ وَأَمْشَىٰ بَيْنَهُم بِالسَّحَابِ وَهُمْ لَا يَكَفُرُونَ ﴿٨٠﴾ وَوُضِعَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٨١﴾

قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى: ﴿وأشرفت الأرض﴾ بما يقيمه فيها من الحق والعدل، ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه لأنه هو الحق العدل وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزيناها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه، ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أمر لها منه وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وإنما يجوز فيها غير ربها ثم ما عطف على إشراق الأرض من وضع الكتاب والمجيء بالنبیین والشهداء، والقضاء بالحق، وهو النور المنكسر وترى الناس يقولون للملك العادل: أشرفت الأفاق بعنك وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول: أظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم

(1) سورة الحاقة، الآية: 13.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: الظلم ظلمات (الحديث: 2447)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة...، باب: تحريم الظلم الحديث: ( 57 2579).

فإن قُلْتُ: قوله ﴿وقيل الحمد لله﴾ من القائل تلك؟ قُلْتُ: المقضي بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة كأنه قيل: وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق، وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة، وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا». وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر<sup>(1)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة غافر مكية

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾.

قارئ بإمالة الف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين، وكيف أو النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتانيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنه أعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والشوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول والفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والإفضال يقال: طال عليه وتطول إذا تفضل.

غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الْقَوْلِ لَآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾.

فإن قُلْتُ: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنعيراً والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف؟ قُلْتُ: أما غافر الذنب، وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غداً حتى يكونا في تقدير الانفصال، فتكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش، وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير، وقد جعله الزجاج بدلاً وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صوبف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة، فقد أذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز، فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف، واللام من شديد العقاب ليزواج ما قبله وما بعده لفظاً فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن

لهم لأبواب فلنلك جيء بالواو كأنه قيل: حتى إذا جازها وقد نحت أبوابها.

فإن قُلْتُ: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوء؟ قُلْتُ: المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بما يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السواقين ﴿طلبتم﴾ من دنس المعاصي، وطهرتم من خبث الخطايا ﴿فانخلوها﴾ جعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة فما هي إلا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قدر فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها، فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحاً تنقى أنفسنا من دنس الذنوب وتميط وضر هذه القلوب ﴿خالدين﴾ مقدرين الخلود.

وَنَادُوا آلَ حَمْدٍ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَلَّمَ وَأَرْزَأَنَا الْآرْضَ نَبْرَأُ مِنَ الْجِنَّةِ جَبْنًا نَشَاءُ فَمَعَمُ آخِرُ الْعَمَلِينَ ﴿٤﴾.

﴿الارض﴾ عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه مقراً ومتبوا، وقد أورثها أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في إنفاقه طولاً وعرضاً.

فإن قُلْتُ: ما معني قوله ﴿حيث نشاء﴾ وهل يتبوا أحدهم مكان غيره! قُلْتُ: يكون لكل واحد منهم جنة لا تصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره.

وَرَبِّ الْمَلَائِكَةِ حَافِيَتٍ مِّنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأَمَّا يُبَيِّنُ لَكُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾.

﴿حافيين﴾ محديقين من حوله: ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ يقولون: سبحان الله والحمد لله متلذنين لا متعبدين. فإن قُلْتُ: لإلام يرجع الضمير في قوله ﴿بينهم﴾؟ قُلْتُ: يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل، وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعاً لا يكون على سنن واحد، ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک، 434/2. وأخرجه أحمد في المسند: 68/6. وعند أبي يعلى تنزيل السجدة والزمر (الحديث: 7643) و(4764).